الامام الحسن عليه السلام والتسامح الاجتماعي

المدرس المساعد
انيس شهيد محمد
جامعة القادسية ـ كلية الآداب

المقدمة:

إن من بين الأمور التي لا يمكن اغفالها دور الإمام الحسن عليه السلام الرسالي الذي كن مطابقاً ومكملاً لدور أبيه الإمام علي عليه السلام فهي سلسلة ادوار مكملة بعضها البعض الآخر بدوره مكمل ومطابق لدور الإمام الحسين عليه السلام بين الأئمة عليهم السلام جميعاً في تأثرهم الرسالي كلٌ حسب الظرف الذي عاش فيه.

وتذكر المدونات الحديثة اشادات عديدة للرسول صلى الله عليه وآله بالإمام الحسن ومن ذلك قوله: ((ألا أخبركم بخير الناس عمّاً وعمّة: قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب)) وقال أيضاً صلى الله عليه وآله: ((ألا أن أباهما في الجنة، وأمهما في الجنة، وجدهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة وهما في الجنة ومن أحبهما في الجنة)) (القرشي، ٢٠٠١١: ص٩٢).

إن هذه المناقب والفضائل هي المؤهلة للإمام الحسن عليه السلام لأن يكون المرشح لخلافة المسلمين بعد شهادة أبيه عليه السلام كان امير المؤمنين بعد أبيه عليه السلام بيدا ان الدسائس والمؤامرات التي قام بها معاوية واغرائه لكثير من المسلمين من أصحاب النفوس الضعيفة، دفع بالإمام إلى اجراء الصلح مع معاوية لغرض حقن دماء المسلمين، وفي ذلك دليل على سماحته عليه السلام وحلمه برغم معارضة الكثيرين من اتباعه. ولهذا نجد لزاماً على المسلمين ان يحذوا حذوا الامام عليه السلام في الصلح والمسامحة والسلام مع كل الطوائف والاديان والعيش بسلام وترك العنف والتعصب، ولاسيما بالنسبة إلى مجتمعنا الذي يعاني الامرين من الهجمات

الارهابية والدمار الذي حلَ به من جراء ذلك.

وعالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى؛ والتقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب، حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة.

المبحث الأول

أهمية البحث:

تتجسد أهمية البحث في ابراز سمة من سمات الامام الحسن عليه السلام وهي الحلم والسماحة التي يتميز بها الامام عليه السلام ونبذه العنف والتعصب وتشجيع التسامح الاجتماعي بين الناس، والاستفادة من هذه السمات في مجتمعنا الذي هو في اشد الحاجه إلى ذلك؛ لما يعانيه من ظلم واضطهاد من قبل العصابات الاجرامية باسم الدين، فاصبح من الازم على افراد المجتمع ان يقتدوا بهذا الامام الجليل عليه السلام وان يجعلوا منهج التسامح منهجاً لحياتهم العامة.

مشكلة البحث:

نظرا لقلة المصادر والادبيات الاجتماعية التي كتبت عن الامام الحسن عليه السلام المظلوم في حياته وبعد مماته بصورة عامة وسمة الحلم والتسامح بصفة خاصة اذا نلاحظ ان هناك فترات من حياة الامام عليه السلام لم تذكر بشكل مفصل ولقد جاء هذا البحث ليكون ولو ومضه بسيطة عن حياة الامام عليه السلام. وهو محاولة بسيطة لتسليط الضوء على سمه من سمات الامام الحسن عليه السلام وهو دعوة لكل المسلمين والطوائف والاديان الموجودة في العراق إلى نبذ العنف والارهاب والعمل على نهج الامام الحسن عليه السلام في التسامح والسلام ليعم في المجتمع ككل.

هدف البحث:

يمكن اجمال اهم اهداف البحث في الامور الآتية:

١- ايجاز نبذه عن حياة الامام الحسن عليه السلام.
٢- تسليط الضوء على سمه من سمات الامام عليه السلام، وهي الحلم، فضلاً عن بيان منهجه في التسامح الاجتماعي.
٣- بيان دور التسامح في شخصية الإنسان المسلم لما لهذه السمة من اثر على المجتمع في نبذ العنف والارهاب.

المبحث الثاني

حياة الامام الحسن عليه السلام

الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي المولود في (١٥ رمضان سنة ٣هـ - والمستشهد في (٧ صفر سنه ٥٠ هـ /) والموافق (٤ مارس ٦٢٥م - ٩ مارس ٦٧٠م)، والملقب بـ الزكي والطيب والتقي والمجتبى وريحانة رسول الله وسيد شباب اهل الجنة وشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله في حلمه وصبره وجوده وسخائه، وهو قول أكثر العلماء، ومنهم الشيخ المفيد والشيخ الطوسي. (المجلسي: ج١، ٢٩٧)، سبط نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وحفيده وثاني الأئمة عند الشيعة، أطلق عليه النبي محمد صلى الله عليه وآله لقب سيد شباب أهل الجنة، ويكنى بـ (أبو محمد) وقد دفن الامام في البقيع. أبوه علي بن أبي طالب ابن عم رسول الإسلام رابع الخلفاء الراشدين عند أهل السنة وأول الأئمة عند الشيعة، أمه: فاطمة بنت النبي محمد بن عبد الله، (وكيبيديا). (وروى الشيخ الصدوق في علل الشرايع والأمالي بأسانيده عن زيد ابن علي عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام الحسن قالت لعلي عليه السلام سمّه. فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله. فجاءه رسول الله صلى الله عليه وآله فأخرج إليه في خرقة صفراء فقال: ألم أنهكم أن تلفّوه في خرقة صفراء، ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفّه فيها ثم قال لعلي عليه السلام: ((هل سمّيته؟)).فقال:

ما كنت لأسبقك باسمه، فقال صلى الله عليه وآله: وما كنت لأسبق باسمه ربّي عزّ وجل، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل: ((إنه قد ولد لمحمد صلى الله عليه وآله ابن، فاهبط فاقرأه السلام وهنِه، وقل له: ان عليا منك بمنزلة هارون من موسى؛ فسمه باسم ابن هارون. فهبط جبرائيل، فهنأه من الله عزّ وجل ثم قال: ((إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون)). قال: ((وما كان اسمه؟)). قال: ((شبّر)).قال صلى الله عليه وآله: ((لساني عربي))، قال: ((سمه الحسن)) (المجلسي: ج٤٣، ص٢٣٨). فما أن ترعرع الإمام الحسن وأخذت قدماه تدبان على الأرض، حتى وجد في صدر رسول الله صلى الله عليه وآله الحب الذي لم يلقه مولود من قبل، فكان يلاعبه ويعلن عن حبه ومنزلته للأمة. وقد روى ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحمل الحسن بن علي على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ((ونعم الراكب هو)). (سنن الترمذي: ج٥، ص٦٦١، برقم ٣٧٨٤) وأخرج ابن سعد في طبقاته قائلاً((جاء الحسن يشتد فوقع في حجره صلى الله عليه وآله ثم أدخل يده في لحيته، ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يكفح (يفتح) فمه فيدخل فاه في فيه، ثم يقول: ((اللهم إني أحبه فأحبه، وأحبب من يحبه)). (مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٥٣٣) ولد الإمام الحسن عليه السلام في حياة جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وعاش في كنفه سبع سنوات وستّة أشهر من عمره الشريف، وكانت تلك السنوات، على قصرها كافية لأن تجعل منه الصورة المصغّرة عن شخصية الرسول، حتى ليصبح جديراً بذلك الوسام العظيم الذي حباه به جدّه، حينما قال له: (أشبهت خلقي وخلقي). والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هو الذي تحمّل مسؤولية هداية الأُمّة ورعايتها، ومسؤولية تبليغ الرسالة وتطبيقها وحماية مستقبلها، من خلال وضع الضمانات التي لا بدّ منها في هذا المجال، وهو المطّلع - عن طريق الوحي - على ما ينتظر هذا الوليد الجديد من دور قيادي هامّ، والمأمور بالإعداد لهذا الدور، وذلك ببناء شخصية هذا الوليد بناءً فذّاً يتناسب مع المهام الجسام التي تؤهله للاضطلاع بها على صعيد هداية الأُمّة وقيادتها. إن كلمة الرسول صلى الله عليه وآله للإمام الحسن عليه السلام: (أشبهت خَلقي وخُلقي) تعدّ وسام الجدارة والاستحقاق لذلك المنصب الإلهي الذي هو وراثة

الرسالة وخلافة النبي صلى الله عليه وآله بعد خلافة وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام. وإنّ إحدى مهامّ الرسول صلى الله عليه وآله هي خلق المناخ الملائم لدى الأُمّة التي يفترض فيها أن لا تستسلم لمحاولات الابتزاز لحقّها المشروع في الاحتفاظ بقيادتها الإلهية، وأن لا تتأثر بعمليات التمويه والتشويه لطمس الركائز التي تقوم عليها رؤيتها العقائدية والسياسية التي حاول الإسلام تعميقها وترسيخها في ضمير الأُمّة. ومن هنا نعرف الهدف الذي كان يرمي اليه النبيّ صلى الله عليه وآله في تأكيداته المتكررة على الدور الذي كان ينتظر الإمام الحسن وأخاه عليهما السلام، تقلده منصب الامامة، من خلال قوله صلى الله عليه وآله بحق الامامين الحسن والحسين عليهما السلام: (إنّهما إمامان قاما أو قعدا) و(أنتما الإمامان، ولأُمّكما الشفاعة). وقوله صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: (أنت سيّد، ابن سيّد، أخو سيّد، وأنت إمام، ابن إمام، أخو إمام، وأنت حجة، ابن حجة، أخو حجة، وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم). وقوله صلى الله عليه وآله في الإمام الحسن عليه السلام: (هو سيّد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأُمّة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنّه منّي، ومن عصاه فإنّه ليس منّي...). ونلاحظ حرصه على ربط قضاياهما بنفسه، إذ يقول: (أنا سِلمٌ لِمَن سالمتم، وحرب لِمَن حاربتم) (القرشي، ٢٠١١: ص٩٤ - ٩٥). وقد روي عن أنس بن مالك قوله: دخل الحسن على النبي صلى الله عليه وآله فأردت أن أُميطه عنه، فقال: (ويحك يا أنس! دع ابني وثمرة فؤادي، فإنّ من آذى هذا آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله). وكان الرسول صلى الله عليه وآله يُقَبّل الإمام الحسن عليه السلام في فمه ويُقَبّل الإمام الحسين عليه السلام في نحره، وكأنّه يريد إثارة قضية مهمة ترتبط بسبب استشهادهما عليهما السلام وإعلاماً منه عن تعاطفه معهما، وتأييده لهما في مواقفهما وقضاياهما. لقد كان الإمام الحسن عليه السلام أحبّ الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله، بل لقد بلغ من حبّه له ولأخيه أنّه كان يقطع خطبته في المسجد وينزل عن المنبر ليحتضنهما. والكلّ يعلم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لم ينطلق في مواقفه من منطلق الأهواء الشخصية، والنزعات والعواطف الذاتية، وإنّما كان ينبّه الأُمّة إلى عظمة هذين الإمامين ومقامهما الرفيع. وإنّ ما ذكر هو الذي يفسّر لنا السرّ في كثرة النصوص التي وردت عنه صلى الله عليه وآله حول الحسنين عليهما السلام مثل قوله صلى الله عليه وآله بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام:

(اللّهمّ إنّ هذا ابني وأنا أُحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه)، وقوله صلى الله عليه وآله: (أحبّ أهل بيتي إليّ الحسن والحسين). (http://arabic.irib.ir/Pages/Monasebat/E-hasan/EHPages/Alsira.htm) يروى أن الحسن عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ابن سبع سنين أو أقل فيسمع خطاب النبي صلى الله عليه وآله وآيات القرآن النازلة تواً ثم يأتي إلى والدته الطاهرة في البيت فيلقي إليها ما سمعه من دون زيادة أو نقصان وعندما يرجع الوالد الكريم الإمام علي عليه السلام إلى بيته يجد زوجته لديها إطلاع تام بخطاب النبي صلى الله عليه وآله وعندما يسألها عن ذلك تقول له: من ولدك الحسن. فالإمام الحسن عليه السلام من ذوي القربى الذين امر الله بمودتهم، واحد الثقلين اللذين امر الله تبارك وتعالى بالتمسك بهما نجا، فهم مصدر للنجاة. نشأ الامام الحسن عليه السلام وترعرع في بيت الوحي والرسالة ومركز الامامة، فغذاه النبي صلى الله عليه وآله بمثله واخلاقه ورسالته المشرفة، وبث في روحه اسرار الامامة، مثلما قام الامام امير المؤمنين عليه السلام بتربيته، فغذاه بمثله الكريمة، فكان المثل الاعلى للتربية الاسلامية في سلوكه وسمو شخصيته. وقد اجمع المترجمون على انه من احلم الناس واقدرهم على كظم الغيظ، والصبر على الاذى والمكروه، فما عرف من سيرته انه قابل مسيئا باساءته، ولا جازى مذنبا بذنبه، وانما كان يغدق عليهم بالاحسان، ويقابلهم بالمعروف، شأنه شأن جده الرسول صلى الله عليه وآله الذي وسع الناس باخلاقه وحلمه (القرشي،٢٠١١: ٩-١٥). من أبرز صفات الإمام الحسن عليه السلام التي عرف بها صفة الحلم، حيث اشتهر عنه أنه (حليم أهل البيت)، روى المدائني عن جويرية بن أسماء قال: لما مات الحسن أخرجوا جنازته فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين: تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعّه الغيظ؟ قال مروان: نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال (ابن ابي الحديد، ١٩٨٧: ص١٣). وهذه الصفة في الحقيقة هي منهج للتعامل الاجتماعي، عمل الإمام على إرسائه في حياته، وعلى أتباعه ومحبيه أن يقتدوا به في هذا المنهج. فعلينا أن نقرأ حلم الإمام الحسن عليه السلام بوصفه منهجاً في التسامح الاجتماعي، ونعمل على تأهيل المجتمع بهذه الصفة. ولابد من الاشارة إلى أن أهل البيت عليهم السلام كلهم يتصفون بالحلم، ولكن

الظروف التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام اقتضت على بروز هذه الصفة في شخصيته بشكل أجلى وأوضح، فالإمام كان يواجه تشنجات واستفزازات من جهتين:

الجهة الأولى: خارجية، وتتمثل في معاوية بن أبي سفيان، وجبهة الشام؛ اذ سعى بكل جهده وقوته وإمكانيات سلطته وحكمه، إلى أن يشوّه سمعة الإمام الحسن عليه السلام، لعزله شعبياً، فعمل على إثارة الدعايات والإشاعات الكاذبة والمغرضة ضد الإمام الحسن عليه السلام، وضد أبيه أمير المؤمنين، فاستطاع، بذلك، أن يوجد تياراً في الشام يكره أهل البيت عليهم السلام، حتى لقد صدق بعضهم أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن يصلي!!

ولقد كان معاوية يتعمد كثيراً أن يُسمع الإمام الحسن عليه السلام بعض الاستفزازات، فكان بعض أتباعه المقربين منه مثل مروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، يقومون بمثل هذا الدور.

الجهة الثانية: داخلية، فإن قرار الإمام بالصلح مع معاوية والذي فرضته عليه الظروف، ورعاية مصلحة الأمة، أثار مشاعر بعض المحيطين بالإمام، فنظروا إلى الصلح على أنه موقف ذل وخنوع واستسلام، فراحوا يوجهّون لومهم العنيف، وعتابهم الشديد، وبعبارات مسيئة وغير لائقة إلى الامام عليه السلام.

فهذا حجر بن عدي الصحابي الجليل يخاطبه قائلاً: (أما واللّه لوددت أنك مت في ذلك اليوم ومتنا معك). ويقول عدي بن حاتم: (أخرجتنا من العدل إلى الجور). وكان بشير الهمداني وسليمان ابن صرد الخزاعي يدخلان على الامام قائلين: (السلام عليك يا مذل المؤمنين). وخاطبه بعض أصحابه قائلاً: (يا بن رسول اللّه اذل لترقابنا بتسليمك الأمر إلى هذا الطاغية) (القرشي: ٢٠١١.ص٢٧٣). وجاء في كتاب (الإصابة) لـ(العسقلاني، ١٩٩٢): (كان أصحاب للحسن يقولون له: يا عار أمير المؤمنين. يقول: العار خير من النار). ومثل هذه الكلمات لا شك أنها تستفز الإنسان، وتؤجج غيضه، لكن الإمام الحسن عليه السلام

واجهها بحلم وأناة بالغين، واستطاع بذلك ان يستوعب الآثار والنتائج السلبية التي يمكن أن تتمخض عنها. فقد كانت جبهة الإمام الحسن عليه السلام بحاجة إلى التماسك والتلاحم، وثمة شروط له مع معاوية ينبغي أن ينفذّها معاوية ، فإذا ما رأى ان جبهة الإمام متشتتة مختلفة، وأن مكانة الإمام مهزوزة في جماعته، فإن ذلك سيشجعه أكثر على تجاهل تلك الاتفاقات، التي لم يكن عازماً على الوفاء بها أصلاً.

تولّى الإمام الحسن السبط عليه السلام منصب الإمامة والقيادة بعد استشهاد أبيه المرتضى عليه السلام في الحادي والعشرين من رمضان سنة ٤٠ هجرية، كان في السابعة والثلاثين من عمره المبارك. وقد عاش خلال هذه المرحلة مع جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ما يزيد على سبع سنوات ومع أبيه المرتضى عليه السلام فترة حياته وإمامته البالغة ثلاثين سنة تقريباً. وعاصر خلالها كلاً من الخلفاء الثلاثة وشارك بشكل فاعل في ادارة دولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

واستمر بعد أبيه يحمل مشعل القيادة الربّانية حتى الثامن والعشرين أو السابع من شهر صفر سنة ٥٠ هجرية، وله يومئذ ثمان وأربعون سنة. وبهذا تنقسم حياة الإمام العظيم إلى مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: حياته قبل إمامته عليه السلام إذ تنقسم هذه المرحلة إلى شطرين:

الأول: حياته في عهد جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

الثاني: حياته في عهد أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

المرحلة الثانية: حياته بعد استشهاد أبيه عليه السلام وهو عصر امامته وتنقسم هذا المرحلة إلى شطرين متميزين:

الأول: وتبدأ من البيعة له بالخلافة حتى الصلح.

الثاني: وهي مرحلة ما بعد الصلح حتى استشهاده عليه السلام.

قُتل عليه السلام مسموماً على يد زوجته جُعدة بنت الأشعث الكندي بأمر من معاوية ابن أبي سفيان. قال الشيخ المفيد رحمه الله: (وضمن لها أن يزوّجها بابنه يزيد، وأرسل إليها مائة ألف درهم، فسقته جعدة السم)، فسمّت الإمام الحسن عليه السلام، فسوّغها المال، ولم يزوّجها من يزيد (القرشي: ٢٠١١. ص٤٧٥).

المبحث الثاني

التسامح الاجتماعي

يعد مفهوم التسامح واحدا من المفاهيم المثيرة للجدل؛ فهو من المصطلحات التي تُستخدم في السياقات الاجتماعية والثقافية والدينية لوصف مواقف واتجاهات تتسم بـ(الاحترام والتواضع) غير المبالغ فيه لممارسات وأفعال أفراد لا تتسق سلوكياتهم أو معتقداتهم أو انتماءاتهم العرقية أو الطائفية مع الغالبية العظمى من المجتمع. فالتسامح مفردة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية او الفردية بما يقتضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء. والتسامح بالمعنى الحديث يدل على قبول اختلاف الآخرين، سواء في الدين أو العرق أو السياسة، والحرص على عدم منع الآخرين أو إكراههم على التخلي عن ذاتهم. وبهذا فان مصطلح أو مفهوم "التسامح" يعبر عن دعم تلك الممارسات والأفعال التي تحظر التمييز العرقي والديني؛ فهو على النقيض من التعصب! الامر الذي قد يعتبره البعض وسيلة أو دعوة للتهاون مع السلوكيات أو العادات الشاذة أو المنحرفة عن المعايير والقيم الاخلاقية والانسانية السائدة؛ لأنه لا يعمل على الارتقاء بمستوى المبادئ أو الأخلاقيات الفعلية على غرار ما يحدث في المفاهيم الأخرى (المتمثلة في الاحترام والحب والمعاملة بالمثل). فالتسامح يدعو إلى فهم الأفكار واستيعابها، ويعمل على جلب الانتباه إلى الأفكار المحيطة بنا. كافة ومرجعياتها، وبخاصة أفكار الآخرين المنافسين أو الأنداد، وإن كانت وجهة النظر تبدو غريبة وكريهة وغير منطقية. وفي ذلك يقول المفكر الفرنسي(فولتير): ((أنا لا أؤمن بكل ما تريد أن تقول ولكنني سأدافع حتى الموت

عن حقك في أن تقول ما تريد)).

التسامح في اللغة:

جاء في لسان العرب؛ لابن منظور(ت٧١١هـ) أن السَّماحُ والسَّماحةُ: الجُودُ. سَمُحَ سَماحَةً وسُمُوحة وسَماحاً: جاد؛ ورجلٌ سَمْحٌ وامرأة سَمْحة من رجال ونساء سِماح وسُمَحاء فيهما، ورجل سَمِيحٌ ومِسْمَح ومِسْماحٌ: سَمْح؛ ورجال مَسامِيحُ ونساء مَسامِيحُ؛

وفي الحديث: يقول الله عز وجل: أَسْمِحُوا لعبدي كإسماحه إلى عبادي؛ الإسماح: لغة في السَّماح؛ يقال: سَمَحَ وأَسْمَحَ إذا جاد وأعطى عن كَرَمٍ وسَخاء؛ وقيل: إنما يقال في السَّخاء سَمَح، وأما أَسْمَح فإنما يقال في المتابعة والانقياد؛ ويقال: أَسْمَحَتْ نَفْسُه إذا انقادت، والصحيح الأول؛ وسَمَح لي فلان أي أعطاني؛ وسَمَح لي بذلك يَسْمَحُ سَماحة. والمُسامَحة: المُساهَلة. وتَسامحوا: تَساهَلوا. وفي الحديث المشهور: السَّماحُ رَباحٌ أي المُساهلة في الأَشياء تُرْبِحُ صاحبَها.

ويقال: أَسْمَحَتْ قَرِينتُه إذا ذلَّ واستقام، وسَمَحَتِ الناقة إذا انقادت فأسرعت، وأَسْمَحَتْ قَرُونَتُه وسامحت كذلك أي ذلت نفسه وتابعت. ويقال: فلانٌ سَمِيحٌ لَمِيحٌ وسَمْحٌ لَمْحٌ.

وتقول العرب: عليك بالحق فإن فيه لَمَسْمَحاً أي مُتَّسَعاً، كما قالوا: إن فيه لَمَندُوحةً.وتكاد تجمع قواميس اللغة ومعاجم الفلسفة على تعريف التسامح بمعناه الاخلاقي، بانه موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء أكانت موافقة أم مخالفة.

وأصل كلمة التسامح في اللغة العربية يعود إلى الجذر "سمح" الذي يدل على اللين والسهولة، هو مرادف لكلمة التساهل (ابن منظور: ١٩٥٦. ص٤٦٥).

ويقول "الفيروز آبادي" في القاموس المحيط: المساهلة كالمسامحة وتسامحوا: تساهلوا، وساهله: ياسره (ابادي: ١٩٨٧. ص٣٨٩).

والتسامح كما جاء في تعريفه اصطلاحاً: (هو كلمه دارجة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء. (يوكبيديا الحرة: مادة التسامح).

وأخيراً فالتسامح بالمعنى الحديث يدل على قبول اختلاف الآخرين، سواء أكان الاخلاف في الدين أم العرق أم السياسة، مع عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين، أو إكراههم على التخلي عن آخريتهم (http://maaber.com).

التسامح الاجتماعي:ـ

لا شك في أن سلوك التسامح والمسالمة واللاعنف يمثل تأصيلاً للرحمة بين الناس، وترسيخا لأسس المودة والالفة والتقارب واواصرها، وفي الوقت نفسه تمثل نفياً لخصال التعصب والكراهية والعنف كالبغض والحقد والحسد والنميمة وسوء الظن بالآخر وغيرها من الآفات الاجتماعية التي تكرس النزعات العدوانية والانتقامية وتراكمها حتى تصل حد التدمير وافناء الاخر الذي قد يكون ذلك الآخر أخاً أو جاراً أو زميلاً اتجه اتجاهاً مخالفاً أو سلك مسلكا فكريا مغايراً.

والتسامح في قاموس العلوم الاجتماعية يعني قبول آراء الآخرين وسلوكهم على مبدأ الاختلاف فهو يتعارض مع مفهوم التسلط والقهر والعنف وهذا المفهوم من اهم سمات المجتمع الديمقراطي، فالتسامح فن عيش مشترك مع التطلع دوما إلى الحفاظ على مسافات صحيحة بين ضرورات الحياة العامة وضرورات الحياة الخاصة، فمهمة التسامح تأمين التعايش في اطار التباين (وطفة: ٢٠٠٤. ص١٨).

ومن مقتضيات التسامح الاجتماعي ان يتنازل الانسان المتحضر المتسامح عن

جزء من حريته للآخرين؛ ايمانا منه بضرورة ذلك التنازل لتحقيق التكيف والوئام والانسجام بين البشر وتنبع القدرة العالية في العلاقات الاجتماعية من فاعلية التواصل والاتصال مع الاخرين واتخاذ قيم التسامح بوصفها منطلقات وركائز لهذا التواصل، فكلما تطورت قدرة الفرد اجتماعيا على التواصل والتوافق، كلما تمتع بصحة نفسية عالية وقوة ضبط اكبر لسلوكه؛ فيمارس حياته في مساره الانساني وفي التعامل مع الناس ومشكلات الحياة بهدوء واتزان وسلام؛ مما يجعل من سلوكه المتسامح مكافأت نفسية واجتماعية مستمرة ومتناسبة، حتى يصبح هذا السلوك سمة ثابتة عنده وسجية مطبوعة لديه (محمد محفوظ، ٢٠٠٤: ص٦٥).

ولما كانت حقيقة التسامح تربية مستمرة كان لابد لهذه التربية ان تنطلق من الاسرة بوصفها حجر الاساس في بناء بداية الشخصية الانسانية واولى الحواضن التربوية في المجتمع؛ لذلك يقع على عاتق الاسرة بداية المحافظة على كيانها الاجتماعي واضفاء جو من المحبة والالفة والتسامح والتفاني بين اعضائها ومن ثم تغذيتهم منذ الصغر قيم التسامح وتعليمهم الحوار وآدابه، وقبول الرأي الاخر مهما اختلف وتباين، وتعزيز النزعة الانسانية لدى الصغار، وغرس روح التصالح وتنميتها والتناغم مع ايقاع الحياة في المجتمع، وتكريس قيم الانتماء للوجود وللاجتماع الانساني واحترام الإنسان للإنسانية وتعزيز اخلاقيات المحبة والتعاطف مع الكائنات الحية كافة والشفقة عليها وتدريب المشاعر والاحاسيس والعواطف على القيم الانسانية والتسامحية النبيلة.

ويعرض (محمد محفوظ، ٢٠٠٤) في كتابه "الحوار والوحدة الوطنية في المملكة العربية السعودية" جملة من هذه المقومات والمتطلبات التي يبنى عليها امن المجتمع وسلمه الاهلي ويتحقق له على اساسها التعايش الاجتماعي الانساني ومنها:

- مساواة الاخر بالذات.

- اللاعنف والمسالمة.

- المنافيات الاخلاقية، بوصفها منظومة أخلاقية من قيم التسامح التي ترعى المسيرة في المجتمع.
- تسالم الادارات الوطنية ومصالحها في الكيان الاجتماعي الوطني.
- تمثل المنظومات الاخلاقية المتضمنة في آي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.
- اعلاء المصالح الوطنية العليا.
- تطوير ثقافة المجتمعية وثقافة الحرية الفكرية والتواصل حقوق الانسان.
- بناء اطر مؤسسات التفاهم والحوار بين شرائح المجتمع المختلفة وتعزيزها.
- ترسيخ مبادئ التعايش الاجتماعي الإنساني والتعارف والتعاون والعدل إذ يتميز المتسامحون اجتماعيا بجملة من الخصائص والصفات، ومنها:
- الجودة المرتفعة في العلاقات مع الاخرين والاستقرار الدائم في تلك العلاقات.
- الجودة المرتفعة في العلاقة مع النفس.
- الرضا عن الذات وعن الحياة بالمعتقد والايمان بالله وبالقدر المحتوم.
- الهواجس المنخفضة في التفكير في ايذاء الاخرين أو ايقاع الضرر بهم.
- التوازن النفسي والانفعالي.
- الصحة البدنية والخلو من الكثير من الامراض التي تعود في اسبابها إلى عوامل نفسية.

ويشكل التسامح الاجتماعي والتسامح العام في المجالات المختلفة في واقعنا العراقي حاجة وطنية واجتماعية قصوى؛ لذلك يجب ان يعلو صوت العقل والضمير فوق كل التعصبات والافكار المسبقة عن الاخر، ولابد من الاستعداد المطلق لممارسة التسامح وقبول الآراء المضادة، بشرط تجنب الاستعداد المطلق لممارسة التسامح وقبول الآراء المضادة، بشرط تجنب الاستعلاء والفوقية وادعاء

الحق والخيرية، فهذه من شأنها قتل التسامح والاجهاز على اي استعدادات لممارسته، ويجب اعتماد العدالة وموازينها الصارمة لتكون الحكم والمرجعية لأي نقاش او حوار من اجل الوصول إلى نتائج يقبل بها الجميع، ويجب طبع حواراتنا بطابع الجدية الهادف، بعيدا عن البروتوكولات العامة والمصالح الضيقة، وان نبيت النوايا الصالحة ازاء بعضنا البعض الاخر وازاء مصالح شعبنا المثخن بالجراح والالام وعلينا، من اجل التسامح، ان نراجع قيمنا ومفاهيمنا للتأكد من صحتها وشرعيتها؛ فمبادئ التصحيح والمراجعة من اصول ديننا وثوابت عقيدتنا، فلنبدأ بالتسامح والتصالح، فليس من خيار اخر سوى المزيد من الضعف والهوان والتشرذم والانقسام.

المبحث الثالث

الإمام الحسن عليه السلام والتسامح الاجتماعي

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ سورة البقرة /٢٠٨ ويمكننا أن نفهم من هذه الآية الكريمة أن (السلم) من المفاهيم التي يحث عليها القرآن، منهجاً يؤمن بالتراحم والعيش بمودة، في حين ان الحرب والعنف تمثل اعمالاً خارجة عن المنطق والعقلانية في حين أن الحرب والعنف هو عمل الشيطان، فكل حرب تقع لسبب غير معقول مع وجود الخيار، السلمي هي حرب تسير على نهج الشيطان وليس على منهج القرآن الإنساني فالله يدعونا دائماً إلى السلم والسلام، حتى أنه عز وجل قد سمى نفسه (السلام) ووصف نفسه بـ(الرحمن) و(الرحيم). من ثم وجب ان يكون السلام هو الرحمة و المحبة اما قضية العلاقة بين السلم واللاعنف في الفكر الإسلامي الأصيل وما سواه من المبادئ، فسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسيرة أهل بيته عليهم السلام خير مصداق لسلوك السلام والتسامح في الأمة؛ فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قائد الحركة السلمية اللاعنفية الأولى في تاريخ العالم. فهو حامل راية السلم

والسلام لأنه يحمل للبشرية النور والهداية والخير والرشاد والرحمة والرأفة اذ يقول صلى الله عليه وآله: ((إنما أنا رحمة مهداة)). ويتحدث القرآن الكريم عن رسالته فيقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الانبياء، الآية ١٠٧)، والرحمة والسلم والسلام من مفاهيم ومبادئ جاء بها الإسلام للناس كافة، وهي تبدو في فكر الإمام علي عليه السلام علاقةٌ واضحةُ المعالم؛ إذ انها تستمد وجودها من عمق الآداب الإلهية والأخلاق الرسالية. فأمير المؤمنين علي عليه السلام، على الرغم من قصر فترة خلافته و برغم من الإضطرابات الخطيرة التي شهدتها الأمة الإسلامية في عصره كان خير معلم رسم الخطوط العريضة لمبدأ اللاعنف في الإسلام، وبإمكان الدارس لسيرته عليه السلام أن يلحظ خطين أساسيين لمبدأ السلم واللاعنف في منظومتيه الفكرية العامة.

الخط الأول يتمثل في كيفية التعامل مع العدو الخارجي وموقع ذلك العدو من مبدأ السلم واللاعنف.

أما الخط الثاني، وهو برأينا الشخصي، الأكثر أهمية والأشد حساسية؛ اذ يحدد مكانة ما يمكن أن يسمى بالعدو الداخلي، ولو كان مسلماً، وكيفية التعامل معه من منطلق السلم المتمثل بالكلمة الطيبة والحوار المبني على الدفع بالتي هي أحسن. وبهذا لابد ان يكون من تربى في كنف رسول الله وبيت الامام علي عليه السلام رمزاً للسلام والسلم فأساس هذا السلام هو الحلم الذي كان صفة من صفات الامام الحسن عليه السلام الشهيرة، فقد كان عليه السلام حليماً ذا أناة، ساكن النفس عند غضب ضبطاً لنفسه عند هيجانها. وقد فرق الدارسون بين (التسامح والحلم) و(الاعتدال) و(الوداعة)؛ فقد جعل (بوبيو) التسامح بمعنى (الحلم) أو (الاعتدال)، فالحلم عنده أعمق، على حين تظل الوداعة أقرب إلى السطح، والحلم عملية نشطة. أما الوداعة، فسلبية وهي فضيلة شخصية، تعبر عن نزعة داخلية في الفرد يمكن أن تكون موضع تقدير، باعتبارها فضيلة مستقلة عن العلاقة مع الآخرين (بوبيو، ١٩٩٠: ص٥).

فالشخص الوديع هو شخص هادئ ومطمئن؛ يعيش مع الاخرين ويتيح لهم أن يحيوا حياتهم، فلا ينفعل للحقد الذى لا مبرر له؛ لا عن ضعف بل عن تقبل واع بعلل الحياة اليومية وامراضها.

أما الحلم فعلى العكس من ذلك، اذ يعتبر فضيلة اجتماعية تشير إلى الميل الإيجابي تجاه الآخرين، فهو نزعة أو ميل داخلي يتضح في ضوء العلاقة بالآخر فحسب.

فالحليم شخص يحتاجه الآخر حتى يتغلب على الشرور بداخله (Rainer,p5). فالحلم هو "القوة العليا الوحيدة التي تكمن في ترك الآخر يكون ذاته". والقوة هنا ليست قوة العنف، فالشخص العنيف ليست لديه أية قوة، لأنه ينتزع قوة العطاء من هؤلاء الذين يستخدم العنف ضدهم، ولكن القوة - بدلاً من ذلك - تكون مع الشخص الذى يمتلك الإرادة على ألا يستسلم للعنف، في حين ان الحلم هو، أن نترك الآخر يكون ذاته (نوربيرتو بوبيو، ١٩٩٩: ص٥-١٦). اما مفهوم (الحلم) عند الامام الحسن عليه السلام، فيتضح من خلال تعريفه للحلم لما سأله بعضهم: ما الحلم؟ قال: (كظم الغيظ وملك النفس) (المجلسي،٢٩٧هـ،ص١٠٢)، فالإمام بهذه الاجابة على ان (الحلم) في اصله هو كظم الغضب، بوصفه نتيجة من نتائج ضبط النفس والسيطرة عليها بشكل ايجابي لا اكراهي، أي أن يسيطر الإنسان على نفسه، فحينما يواجه الآخر بتصرف مستفز، وتتحرك فيه غريزة الغضب، لتحميه من الاستفزاز الموجه إليه. غير ان الحليم هو من يتحكم في توجيه هذه الغريزة، ولا يستخدمها إلا في ظرفها المناسب، لأن إتاحة الفرصة لهذه الغريزة أن تنفجر على شكل تصرف غاضب، قد يضر الإنسان بدلاً من أن يفيده. فوكم من مظلوم تصرف تصرفاً طائشاً، وتحول بسبب ذلك التصرف إلى ظالم مدان، فأعطى الفرصة لعدوه في ادانته يقول الإمام علي عليه السلام: (الغضب شر إن أطلقته دمر) (التميمي، ١٣٦٦هـ). فالغضب في الحقيقة هو نتيجة استثارة خارجية، يستقبلها الإنسان، فتحفزّه على اتخاذ رد فعل غاضب. وللتحكم في هذه الغريزة، ولتوجيهها التوجيه المناسب،

تنصح التوجيهات الإسلامية بذكر اللّه تعالى، ففي الحديث القدسي ((يا بن آدم اذكرني حين تغضب)) (الكليني، ص٢٠٤)، وقال صلى الله عليه وآله: (يا علي لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد، وحلمه عنهم، وإذا قيل لك اتق اللّه، فانبذ غضبك، وراجع حلمك) (الحراني، ص١٨). وليس أروع من أن يداوي الإنسان ثورة غضبه، بلجوئه إلى العبادة، فصلاة ركعتين قربة إلى اللّه تعالى بإخلاص وخشوع لاشك في أنها ستنقل الإنسان إلى الاتصال بعالم الكمال والروحانية، حيث يستلهم الإنسان من خالقه فيوضات رحمته، وألطاف كرامته. كما تنصح بعض الروايات بالانتقال من حالة إلى حالة أخرى عند الغضب. فعن أبي ذر أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع) (السجستاني، ص٦٦٤).

والهدف من ذلك، هو تفريغ شحنات الغضب في حركة لا ضرر فيها. وفي حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه ينصح بالوضوء قال صلى الله عليه وآله: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم، فليتوضأ) (السجستاني، ص٦٦٦).

تسود البعض من الناس حالة من التشنج والانفعال السريع، لأتفه الأسباب، فيفسح المجال لفورة غضبه أن تأخذ مداها العنيف، وهذه الحالة سيئة ومضرة، وأهم نتائجها السيئة أمران:

أولاً: الأضرار الصحية. إذ تشير التقارير الطبية إلى أن الغضب والانفعال، يعتبر ان سبباً لأمراض السكري، وضغط الدم، وأمراض القلب، ولهذا فإن أهم ما يوصي به الأطباء هؤلاء المرضى، هو السيطرة على النفس، وعدم الانفعال.

ثانياً: إضعاف حالة التماسك الاجتماعي، فينشغل أفراد المجتمع بمشاكلهم الجزئية والثانوية، التي تذكيها حالة التشنج، وفي غمرة كل ذلك تتلاشى الأهداف والطموحات الكبيرة، التي كان ينبغي أن ينشغل الكل بها،

فيتأخر تحقيق المجتمع للأهداف والمصالح العامة، بسبب من الانشغال بالخلافات الهامشية. فتارة يكون الحديث عن الحلم باعتباره صفة فردية حميدة، وتارة يبحث الحلم بوصفه حالة اجتماعية عامة، بين أفراد المجتمع، وبين التكتلات والتجمعات الموجودة فيه.إذ من الواضح أن في كل مجتمع تقسيمات اجتماعية متفاوتة، مناطقية وسكنية، أو عشائرية وقبلية، أو فكرية ومذهبية، أو انتماءات سياسية، وما أشبه.

والسؤال المطروح: هو كيف يجب أن تكون العلاقة بين كل مجموعة وأخرى؟

إن شيوع حالة التشنج والغضب يؤثر على علاقة هذه الانتماءات، فتقاطع كل فئة الأخرى، أو توجه بعضاً من جهودها للمناوأة و التخريب على الجهة الأخرى. فإذا ساد الحلم، وشاع التسامح بين التجمعات والتوجهات، تحول الحلم حينئذ إلى منهج اجتماعي عام، وآتى ثماره في تحقيق وحدة المجتمع وانسجامه، وتوجه جهوده وطاقاته نحو الأهداف الكبيرة، والتحديات الخطيرة. ومن الملاحظ أن الخلافات والصراعات بين الجماعات تحدث في العادة بسبب من تصرفات فردية متشنجة، لدى هذا الطرف أو ذاك، فيتعامل معها الطرف الآخر بنظرة عامة شملة، ويتخذ رد فعل على أساسها. ولهذا علينا وضع لحلول ولمعالجات لهذه التشنجات الفئوية، وذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: عدم تعميم الإساءة، ومحاسبة الجماعة كلها عليها.

ثانياً: بث روح التسامح والإغضاء عن الإساءات التي قد تصدر من هذه الفئة ضد تلك وبالعكس؛ اذ ينبغي أن يتصف أفراد وقادة الجماعات بالحلم، لأن تلك الإساءة قد تكون نتيجة لسوء فهم أو التباس، أو لأن جهة ما تريد أن تخلق مشكلة بين الطرفين.

ثالثاً: عدم رفع وتيرة الاختلاف الفكري والثقافي إلى مستوى الخلاف والنزاع. ونشر ثقافة التعددية والقبول بالرأي الآخر.

رابعاً: تعزيز حالة التسامي والقبول بالآخر الفكري والآخر الديني والترفع عن ارتكاب العنف وممارسة افكار البغض والكراهية والحقد بأنواعها المختلفة.

خامساً: لعمل على اشاعة الثقافة العامة وتهذيب الافكار والمتبنيات الفكرية لدى الجماعات والفئات المتعددة الدينية وغير الدينية في المجتمع الواحد وعدم اشاعة ثقافة النبذ والتطرف وترك الخوض بالجزئيات العقائدية بين فراد المجتمع ودعم عملية الوحدة الاجتماعية والتجانس الانساني واشاعة مبدأ الامام علي عليه السلام: الناس صنفان اما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق.

إن تضخيم الخلاف حول بعض القضايا الجانبية، كثبوت هلال شهر رمضان أو العيد، أو اختيار مرجع تقليد، أو تبني هذه الفكرة أو تلك، واعتبار مثل هذه القضايا الجزئية حدوداً فاصلة بين الإيمان والكفر، والعدالة والفسق، أمر خاطئ ناشئ من الجهل أو سوء الخلق وهذا ما نلاحظه يحدث في لوقت الحاضر، اذ تختلف الفئات المتعدد داخل المجتمع حتى اصبح القتل على الهوية الدينية العقيدية شائعاً، فيقتل المسلم لمجرد انه شيعي او سني مما جعل مجتمعنا في حالة صراع دائم لا ينتهي فعلى المسؤولين ورجال الدين القضاء على هذه الخلافات بشتى الطرق، للوصول إلى نبذ العنف والارهاب ونشر روح التسامح في المجتمع.

نهج الإمام الحسن:

لقد كان الحلم منهجاً سلوكياً، ومعلماً بارزاً، في حياة الإمام الحسن عليه السلام، اتخذه معادلاً موضوعياً في مقابل الاستفزازات الفردية التي تصدر من المناوئين والاعداء، و ذوي التوجهات المخالفة له، والمختلفة معه، فمن شواهد المنحى الأول: ما يروى من أنه عليه السلام كانت عنده شاة، فوجدها يوماً قد كسرت رجلها، فقال لغلامه: من فعل هذا بها؟ قال الغلام: أنا. قال الإمام: لم ذلك؟ قال الغلام: لأجلب لك الهم والغم. فتبسم عليه السلام، وقال له: لأسرك، فأعتقه وأجزل له في

العطاء (القرشي: ٢٠١١، ص٢١٤).

وضمن المنحى الثاني، ينقل المؤرخون: أنه اجتاز على الإمام شخص من أهل الشام، ممن غذاّهم معاوية بالكراهية والحقد على آل البيت، فجعل يكيل للإمام السب والشتم، والإمام ساكت لم يرد عليه شيئاً من مقالته، وبعد فراغه التفت الإمام فخاطبه بناعم القول، وقابله ببسمات فياضة بالبشر، قائلاً: (أيها الشيخ: أظنك غريباً؟ لو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أطعمناك وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك) ومازال عليه السلام يلاطف الشامي بهذا ومثله ليقلع روح العداء والشر من نفسه حتى ذهل ولم يطق رد الكلام، وبقي حائراً خجلاً كيف يعتذر للإمام وكيف يمحو الذنب عنه؟ وطفق يقول: (اللّه أعلم حيث يجعل رسالته) (القرشي: ٢٠١١، ص٣١٤).

فمما يساعد على اتخاذ موقف الحلم عند الامام عليه السلام فهم الطرف المقابل ومعرفة الظرف النفسي والفكري الذي يحيط به، فإذا فهمت أنه مضلل، أو معبأ، وأنه هو الآخر ضحية لعدو واحد، كنتَ أقدرَ على السيطرة على الموقف، وتحويله لصالحك، لا لصالح عدوكما. ولهذا فإن العاقل هو الذي يملك الحلم، يقول علي عليه السلام: (بوفور العقل يتوفر الحلم) (التميمي، ١٣٦٦هـ) ويقول: (عليك بالحلم فإنه ثمرة العلم) (التميمي،١٣٦٦هـ) ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم) (المجلسي، ج٢: ص٤٦)، فالعالم هو الذي ينبغي أن يتحلى بالحلم، لأنه يتفهم سلبيات الجاهلين، ودوافع أخطائهم.

ويحدث أحياناً أن يفد على المجتمع أفراد من مجتمعات أخرى، يحملون معلومات وأفكاراً مضللة حول المجتمع وأفكاره وعقائده. فإذا كان الشخص المقابل لهم واعياً، يعرف أنهم بسطاء ومضللون، فإنه يستوعب أولاً الصدمة التي يحدثها كلامهم، ثم يبدأ في تغيير تلك الصورة المشوهة، ويعطي للوافد بأخلاقه وسلوكه مثالاً حياً على خطأ تصوراته السابقة.

أما إذا كان من يقابله شخصية متشنجة، فسوف يستفزها ذلك الكلام لترد عليه بكلام أقسى وباتهامات ونعوت مضادة، وهذا الأسلوب غالباً ما يؤدي إلى تأكيد التصورات الخاطئة عن المجتمع. ومن المثير للدهشة والعجب أحياناً، أن يعتبر هؤلاء الأشخاص تصرفاتهم المتشنجة تلك بطولات وإنجازات، تستحق الذكر والإشادة، فترى بعضهم يحدثك عنها وكأنه انتصر على عدو، وهو لا يعلم أنه بذلك أكدً هزيمته. ففي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) (الريشهري، ج٧: ٢٣٤).

ومن هذا كله ما أحوجنا إلى قراءة سيرة لإمام الحسن العطرة، والتزام خطه الرسالي، والأخذ بمنهجه في التسامح الاجتماعي، لتسود أجواءنا المحبة والوئام، ولنتوجه لمواجهة الأعداء والأخطار صفّاً كالبنيان المرصوص.

ويمكن الابانة عن فهم الامام في هذا الشأن من خلال العودة إلى بنود الصلح التي سنحاول تفكيك ما ورد في بنودها، من كلمات ليتسنى لنا اخراج مظاهر اللاعنف والسلام والتسامح فيها.

ففي البند الأول، ترد كلمة تسليم، والتي هي في جذرها - سلم - ومنها السلم والسلام.

ولا تتم عملية تسليم شيء ما إلا بصورة ودية هادئة تحمل كل معاني السلم والسلام بين اثنين أو اكثر.

وشرط التسليم هو العمل بكتاب الله، الذي لا تجد فيه إلا دعوات المحبة والوئام والتسامح ونبذ القطيعة والقتال والعنف، وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله. فالتسليم لا يتم إلا على وفق المبدأ القرآني الثابت الذي لا يتغير بتغير الظروف والاحوال، وهو مبدأ احترام الإنسان لإنسانية الآخرين وعدم تهديدها أياً كان شكل هذا التهديد، بالقول أو الفعل.

ويرد في البند الثالث: وجوب ترك سب أمير المؤمنين لما لهذا الفعل من عنف

موجه إلى الآخرين لالحاق الضرر النفسي بهم، والانتقاص من رمز لهم يجلّوه ويقدسوه، وهو ما اصطلح عليه في عصرنا بالعنف الرمزي أو المعنوي الذي (يلحق الضرر بالموضوع سيكولوجياً: في الشعور الذاتي بالأمن والطمأنينة والكرامة والاعتبار والتوازن) (عبد الله بلقزيز، ٢٠٠٧: ص٢٤). (إذ ليس هناك من تصرف، سواء أكان سلبياً كرفض العون مثلاً أو ايجابياً، رمزياً كالسخرية مثلاً أو ممارس فعلياً لا يمكنه أن ينشط كسلوك عدواني) (عبد الرحمن العيسوي، ص٢٧).

وورد في البند الرابع، أن يفرق بين أولاد من قتل. والمغزى واضح فيه، وهو تعويض هؤلاء الأبناء عما لحق بهم من ضرر نفسي واجتماعي واقتصادي؛ نتيجة مقتل آبائهم المعيلين لهم والمتربين في احضانهم. فهو تعويض، وإن لم يكن كافياً، عن مرارة اليتم والفاجعة والحزن الذي اصاب هؤلاء الأبناء وهو ما تأخذ به المحاكم في القوانين العصرية الحديثة، حين يقيم المتضرر نفسياً الدعوى على من أوقع به الضرر مطالباً بالتعويض المادي عما لحق به.

واحتوى البند الخامس: احتوى على أربع عشرة مادة رافضة للعنف بجميع اشكاله. فالناس آمنون، ولا يتحقق هذا الأمن إلا بعدم وجود ما يشعر بالخوف وعدم الطمأنينة. وأن يكون الأمن شاملاً لجميع الاعراق والألوان، لا فرق فيه بين اسود واحمر، فالناس سواسية في حق لمعاملة والشعور بالأمن والخوف. واحتمال الهفوات يقود إلى العفو عما بدر من الآخرين من أخطاء؛ اذ يبقى الخوف من تبعاتها مسلطاً على الرقاب وباثاً الرعب في النفوس. وعدم اتباع أحد بما مضى من سابق جناية أو خطأ ارتكبه، يشعر المخطئ بالعفو عما ارتكبه، ولتكون فرصة لعدم الرجوع إلى الخطأ مرة أخرى ولا يأخذ أهل العراق بإحنة، وهو الحقد والغضب؛ لانهم قاتلوا ضده، وعلى أمان أصحاب من قادهم للقتال ضده، فهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، إلى آخر ما موجود في هذا البند. وهذه المواد جميعها تؤكد على مبدأ الأمن والطمأنينة وعدم الخوف، أو الايذاء، وعدم منعهم من الحصول على ما اعتادوا عليه.

وذلك كله يكشف لنا الوجه المدني المتحضر للسياسة التي اتبعها الإمام الحسن عليه السلام في مقابل الوجه الآخر للسياسة بمضمونها الدكتاتوري التسلطي الذي اتبعه معاوية. سواءً قبل الصلح أو بعده.

فإذا كان هدف السياسة والممارسة السياسية هو (تحقيق المصلحة، فردية كانت أو جماعية، وتنميتها والدفاع عنها) (عبد الله بالقزيز، ٢٠٠٧: ص١٨). فهذا ما كان يعمل عليه الإمام الحسن عليه السلام، أما الوجه الآخر للسياسة الذي يمثل (عملية نزاعية مجردة من كل قيمة إنسانية ومن كل قاعدة اخلاقية ترعى مصالح الآخرين أو تحترم حقوقهم، أو حتى آدميتهم في بعض الحالات) (عبد الله بالقزيز، ٢٠٠٧: ص٢٠)، فقد عمل معاوية، من خلال منزع تسلطي وعنفي يفضي إلى اقصاء أي خصم عن ميدانها بالقمع المنظم والقمع العشوائي. فهذا القمع، عند تسليط الضوء عليه، يكشف عن نزعة عدوانية كامنة في نفسية معاوية الذي يمكن النظر لعدوانيته على (إنها سلوك مدفوع بالغضب والكراهية أو المنافسة الزائدة وتتجه إلى الإيذاء والتخريب أو هزيمة الآخرين) (عبد الرحمن العيسوي، ٢٠٠٧: ص٢٦).

فماذا يكون موقف الامام الحسن عليه السلام لو افترضنا أنه هو الغالب؟ فأما إذا كان هو المغلوب، فأول كلمة تقال من كل متكلم: ان الامام الحسن عليه السلام هو الذي القى نفسه بالتهلكة، وان معاوية طلب منه الصلح الذي فيه حقن الدماء، فأبى وبغى، وعلى الباغي تدور الدوائر. وحينئذ يتم لمعاوية وابي سفيان ما ارادا من الكيد للإسلام وارجاع الناس إلى الجاهلية الاولى وعبادة اللات والعزى ولا يبقي معاوية من اهل البيت نافخ ضرمه، بل كان نظر الامام الحسن عليه السلام في قبول الصلح وادق من هذا وذاك اذ اظهر الوجه الحقيقي لمعاوية واعوانه وعرف الناس حقيقة امره وكامن سره (القرشي، ٢٠١١. ص١٧).

من هنا نتلمس سماحة اهل البيت وعمق تفكيرهم في حقن دماء المسلمين ورفع راية الاسلام عالياً رغم الدسائس والمؤامرات التي كان يحوكها ال معاوية وال سفيان لأهل البيت والإسلام إلى وقتنا هذا. ونتلمس ذلك من خلال

الارهاب الموجه في الوقت الحاضر إلى المسلمين كافة بكل فئاتهم وعقائدهم. ودحر مخططات الارهاب والحفاظ على وحدة المسلمين يكون بالتسامح والسلام ونبذ الطائفية التي يسعى إلى تعزيزها وترسيخ افكارها فيما بينهم ال امية ومعاوية ويزيد وال أبي سفيان واسلافهم ومن هم على نهجهم في الوقت الحاضر ولا يزال النهج التعسفي الظالم قائماً بين المسلمين باللسان وباليد وبالسلاح وغيرها، سواء أكان هذا الظلم موجّهاً ضد بعضهم البعض الاخر، أو حتى ضد من لم يحاربهم. وفي ذلك تشويه لصورة الإسلام السمح في نفوس كثيرة من المسلمين وغيرهم ويلحظ أن الكثير من المسلمين قد خلت من قلوبهم روح السماحة التي بثها فيهم الدين القويم، فلا تزال الحروب قائمة بينهم، ولا يزال التمييز بين فئة وأخرى قائماً من خلال التنابز بالألقاب والشتم، والتكفير، وانتهاك الحقوق وذلك كله بسبب من اختلاف الرأي، واختلاف الانتماء. فأعيدت حالة التمييز التي نبذها الإسلام وتعاليم رسول الله التي تنص على أن لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلاّ بالتقوى (فكلكم لآدم وآدم من تراب). فإذا كنّا لا نستطيع أن نعالج أوضاعنا الداخلية بوصفنا مسلمين، فكيف نبرز للعالم وجه الإسلام المشرق؟.وعجيب الأمر، أنه إذا دعا المصلحون إلى رص الصف والتوحّد والتعايش الأخوي والنداء بالمساواة، وكلها أمور دعا ليها الإسلام ورسخها في نفوس المسلمين، إننا نسمع أصواتًا معترضة تتناسى أن هذه المبادئ إسلامية يجب تطبيقها في المجتمع الاسلامي.

التوصيات:

١- العمل على زيادة عدد الندوات والمؤتمرات حول الامام الحسن عليه السلام والائمة المعصومين عليهم السلام لإثراء الفكر بمنهجهم الاسلامي الصائب.

٢- تشجيع الخريجين على كتابة بحوث تخرج حول حياة الامام الحسن عليه السلام وسماته الشخصية.

٣- تشجيع طلبة الدراسات العليا على كتابة الرسائل والاطاريح حول حياة

الإمام الحسن عليه السلام.

٤- الدعوة إلى التصنيف العلمي في حياة الائمة المعصومين عليهم السلام ولاسيما الامام الحسن عليه السلام.

الملخص:

الامام الحسن عليه السلام ترعرع في بيت الوحي والرسالة ومركز الامامة، فغذاه النبي صلى الله عليه وآله بمثله واخلاقه ورسالته المشرقة، وبث في روحه اسرار الامامة، كما قام الامام امير المؤمنين عليه السلام بتربيته، فنهل منه المثل الكريمة السامية، فكان المثل الاعلى للشخصية الاسلامية في سلوكه وسمو شخصيته. وقد اجمع المترجمون انه كان احلم الناس واقدرهم على كظم الغيظ، والصبر على الاذى والمكروه، فما عرف من سيرته انه قابل مسيئا بإساءته ، ولا جازى مذنبا بذنبه، وإنما كان يغدق عليهم بالإحسان، ويقابلهم بالمعروف، شأنه في ذلك شأن جده الرسول صلى الله عليه وآله الذي وسع الناس بأخلاقه وحلمه، وكما كان من احلم الناس، فقد كان من ابرز رجال الفكر في سدادة الراي وصواب التفكير، وقد تجلى ذلك في صلحه مع معاوية، وتجنبه فتح باب الحرب؛ إذ كانت البلاد تعج بالحزبية، وباع زعماء القبائل وقادة الجيش ذممهم إلى معاوية وانحازوا إلى معسكره طمعا بالأموال والجاه، فضلاً عن عوامل أخرى، فسالم عليه السلام وصالح معاوية على جملة من الشروط، فصان بذلك الأمة وحفظ دماءها، وجنبها المضاعفات السيئة التي لا يعلم خطورتها الا الله.

وقد كان ذلك، بسبب من الظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت بأهل البيت عليهم السلام؛ إذ لم يكن أهل البيت عليهم السلام الطرف الاضعف والمستضعف وإنما ما كان لهم بحسب الاسس الاسلامية ان يدخلوا حيز الخديعة والمكر والدهاء، فقد كانوا يعيشون النظرية الاسلامية ويمثلونها خير تمثيل. يتمثلون الضوابط والقواعد الاسلامية العامة، ويؤمنون بحرية الفكر والتعبير، لذلك نراهم يتقبلون الاخر وان كان معاديا لهم والاحترام للرأي الآخر، ويتعايشون معه فكرياً وسياسياً، الا اذا

كان مجانباً الحق والصواب، فانهم يصححون ويسددون الناس إلى الصواب ويرشدونهم سبيل الحق.

ويشهد لذلك سيرة الامام علي عليه السلام أيام خلافته مع مخالفيه، و يشهد لذلك أيضاً موقف الامام الحسن عليه السلام وحلمه الذي اتصف به ونهجه الذي سار عليه وهو نهج التسامح الاجتماعي الذي ينبغي علينا جميعاً، بوصفنا مسلمين، السير عليه ونشره في المجتمع؛ ليكون أكثر استقراراً وأمناً.

ويبين هذا البحث سيرة الامام الحسن عليه السلام وأهم الأحداث التي مرت بحياته الشريفة منذ ولادته حتى وفاته عليه السلام، ويسعى إلى بيان معنى التسامح وكيف ظهر في المجتمع ومدى حاجة المجتمعات اليه، مثلما يوضح معنى الحلم وأثره على الشخصية الانسانية في المجتمع مع بيان اثر حلم الامام الحسن عليه السلام في نبذ الخلافات واشاعة السلم في الحياة الانسانية.

ويؤكد هذه الحقيقة موقف بعض مراجع الدين المتميزين الكبار من أتباع أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا ومازالوا يمثلون موقع الرمز والقدوة بين علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم؛ اذ نلاحظ فيهم وراثة هذا الاهتمام والفهم النظري والموقف العملي من قبل المرجعية الدينية التي تمثل (الموقع الديني والاجتماعي) الذي يحظى بالاحترام والقدسية والاتباع لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام من الامامية الاثني عشرية فان التسامح الاجتماعي هو منهج الامام الحسن عليه السلام والائمة من ذرية رسول الله الذين كان نهجهم الاساس هو حقن دماء المسلمين واشاعة روح التسامح فيما بينهم وبين الامة الاسلامية جمعاء.

Abstract

Imam Hassan(PBUH) grew up in the revelation and the home of the holly message and the center of the Imamate, Prophet (PBUH) fed him with parable, manners, and his bright message in the spirit

of the secrets of the Imamate, as the Imam Ali (PBUH) bought him and took thesublime ideals from his father. He was the ideal Islamic figure in his behavior and the highness of his character. The whole Translators agreed upon him as being the most modest among people and the most capable to the restrain wrath and patient on the hurt and hatredness, what is known of his life is that he did not meet offensive person with an offence, nor requite guilty person with his guilt, but he bestowedcharity on them, and met them with good deed, like his grandfather the Prophet (PBUH) who expanded people with his morals and his longanimity, and as he was the most longanimous, he was the most prominent among the men of thought in the correct opinion and right thinking, this was demonstrated in his reconciliation withMuawiya, and avoidance of opening the door of war; as the country teemed with playing partisan, and the tribal leaders and army commanderssold their pacts to Muawiya and sided his camp in the hope of money and prestige, as well as other factors. Thus,he (PBUH) made peace and reconciled Muawiya on a number of conditions, so hecloved so the nation and kept their blood and reserved it from the bad complications that did not know their gravity, but God.

This was because of the political and social circumstances surroundedthe Household of Prophet (PBUH); the members of the House did not (PBU) them were not the weakest party and the underwent weakness socially and politically, but according to the Islamic bases of to enter into deception and cunning and savvy, they were living the Islamic theory and represent it a good representation.They assimilated the public and Islamic rules, and believe in freedom of thought and expression, so we saw them accepted the another one even if he was hostile to them and respected the other opinion, and lived with him intellectually and politically, but if the another one was not with right and correctness, they corrected and directed people to the right and guide them towards the right path.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢،.دار الطباعة المنيرية، ١٩٣٨.

٢- ابن حجر العسقلاني، الاصابة،ج٢،الطبعة الاولى ،دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

٣- ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني، سنن أبي داود، ج٢، حديث رقم ٤٧٨٢.

٤- ابو عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ٢٩٧هـ.

٥- احمد بن حنبل، مسند احمد بن حنبل،ج٢،يمن،٢١١هـ

٦- اشرف عبد الوهاب، التسامح الاجتماعي بين التراث والتغير، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.

٧- باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن،ج١، دار جواد الأئمة عليهم السلام، بيروت، ٢٠١١.

٨-.....، حياة الإمام الحسن، ج ٢، دار جواد الائمة عليهم السلام، بيروت، ٢٠١١.

٩- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مج (٢)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٦.

١٠- الحسن بن علي ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ايران، قم، (ب.ن).

١١- د. عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية العنف والعدوان، دار النهضة العربية، الجزائر، ٢٠٠٧.

١٢- عبد الإله بلقزيز، العنف والديمقراطية، بيروت،٢٠٠٧.

١٣- عبد الحميد ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج١٦، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٤- عبد الله شبر المجلسي، جلاء العيون،ج١،٢٩٧هـ.

١٥- عبد الواحد الآمدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، التبليغات الاسلامية، قم، ١٣٦٦هـ.

١٦- علي اسعد وطفة، المنطلقات التربوية لتأهيل قيم التسامح ماهية انتشارها في الوطن العربي، عالم الفكر، مج ٣٠، ٢٠٠٢.

١٧- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.

١٨- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط٢، ١٩٦٥.

١٩- محمد الريشهري، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٧ (ب.ن).

٢٠- محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج٢، بيروت، ط٢، مؤسسة الوفاء، (ب.ن).

٢١-.....، بحار الأنوار، ج٧٦ مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة (ب،ن).

٢٢- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٢.دار المرتضى، (ب.ن).

٢٣- محمد محفوظ، الحوار والوحدة الوطنية في المملكة العربية السعودية، جدة، ٢٠٠٤.

٢٤- مجموعة من المختصين: موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، الجزء الخامس، الطبعة الاولى، دار الوسيلة، جدة، ١٩٩٨م.

٢٥- موسوعة ويكيبيديا الحرة (انترنيت).

٢٦- نوربيرتو بوبيو، في مدح الحلم، ترجمة بهجت عبدالفتاح، ديوجين، ١٩٩٩.

Rainer Forst., toleration,justice.and reason. Exeter university (Internet)

http://maaber.com

http://arabic.irib.ir/Pages/Monasebat/E-hasan/EHPages/Alsira.htm

http://www.ex.ec.uk/shipss/politics/forst.html